احترام الكبير

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

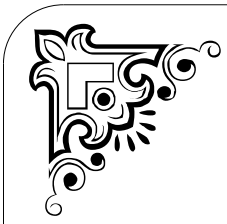

قِيمَةُ الِاحْتِرَامِ فِي الْإِسْلَامِ

فَإِنَّ التَّمَسُّكَ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْقِيَمِ النَّبِيلَةِ مِنْ أَهَمِّ رَكَائِزِ قِيَامِ الدُّوَلِ وَالْحَضَارَاتِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُبْنَى الْحَضَارَاتُ بِنَاءً سَدِيدًا وَتَسْتَقِرَّ وَتَتَفَوَّقَ عَلَى غَيْرِهَا إِلَّا إِذَا قَامَتْ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ الرَّشِيدَةِ.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَحْظَ أَنَّىٰ كَانَ جِنْسُهُ، أَوْ مَكَانُهُ، أَوْ مَكَانَتُهُ، أَوْ زَمَانُ عَيْشِهِ بِمَنْزِلَةٍ أَرْفَعَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي يَنَالُهَا فِي ظِلَالِ الدِّينِ الْحَنِيفِ، دِينِ رَبِّنَا، دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ عَالَمِيٌّ، وَرَسُولَهُ ﷺ أُرْسِلَ لِلْعَالَمِينَ كَافَّةً، وَلَمْ يَكُنْ كَإِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الَّذِينَ أُرْسِلُوا لِأَقْوَامِهِمْ خَاصَّةً.

وَحِينَ يُوَازِنُ أَيُّ بَاحِثٍ مُنْصِفٍ مَبَادِئَ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ الَّتِي حَوَاهَا «الْإِعْلَانُ الْعَالَمِيُّ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ»؛ حِينَ يُوَازِنُ بَيْنَ هَذِهِ وَحُقُوقِ الْإِنْسَانِ فِي الْإِسْلَامِ يَلْحَظُ التَّمَيُّزَ الْوَاضِحَ الَّذِي سَبَقَ بِهِ الْإِسْلَامُ، مَا تَفَتَّقَتْ عَنْهُ أَفْكَارُ الْبَشَرِ فِي مَبَادِئِ حُقُوقِهِمْ؛ مِنْ حَيْثُ الشُّمُولُ وَالسَّعَةُ وَالْعُمْقُ، وَمُرَاعَاةُ حَاجَاتِ الْإِنْسَانِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي تُحَقِّقُ لَهُ الْمَنَافِعَ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ الْمَضَارَّ.

وَيَتَّضِحُ مِنَ الدِّرَاسَةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ الْمُتَجَرِّدَةِ عَنِ الْأَهْوَاءِ أَنَّهُ: «لَيْسَ هُنَاكَ دِينٌ مِنَ الْأَدْيَانِ أَوْ شَرِيعَةٌ مِنَ الشَّرَائِعِ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَفَاضَتْ فِي تَقْرِيرِ هَذِهِ الْحُقُوقِ، وَتَفْصِيلِهَا وَتَبْيِينِهَا، وَإِظْهَارِهَا فِي صُورَةٍ صَادِقَةٍ مِثْلَمَا فَعَلَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ».(*).

لَقَدْ خَلَقَ اللهُ -تَعَالَى- الْإِنْسَانَ مُكَرَّمًا مُحْتَرَمًا؛ كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

«أَيْ: تَامُّ الْخَلْقِ، مُتَنَاسِبُ الْأَعْضَاءِ، مُنْتَصِبُ الْقَامَةِ، لَمْ يَفْقِدْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا شَيْئًا»(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

«يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- عَنْ تَشْرِيفِهِ لِبَنِي آدَمَ وَتَكْرِيمِهِ إِيَّاهُمْ فِي خَلْقِهِ لَهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَأَكْمَلِهَا، كَمَا قَالَ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين: ٤] أَيْ: يَمْشِي قَائِمًا مُنْتَصِبًا عَلَىٰ رِجْلَيْهِ، وَيَأْكُلُ بِيَدَيْهِ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ، وَيَأْكُلُ بِفَمِهِ، وَجَعَلَ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَفُؤَادًا؛ يَفْقَهُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، وَيَعْرِفُ مَنَافِعَهَا وَخَوَاصَّهَا وَمَضَارَّهَا فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «دَاعِشُ وَذَبْحُ الْأَقْبَاطِ الْمِصْرِيِّينَ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٦هـ| ٢٠-٢-٢٠١٥م.

(٢) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ»: (ص٩٢٩).

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ أَيْ: عَلَىٰ الدَّوَابِّ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ، وَفِي ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ أَيْضًا عَلَىٰ السُّفُنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أَيْ: مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ وَلُحُومٍ وَأَلْبَانٍ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الطُّعُومِ وَالْأَلْوَانِ الْمُشْتَهَاةِ اللَّذِيذَةِ، وَالْمَنَاظِرِ الْحَسَنَةِ، وَالْمَلَابِسِ الرَّفِيعَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَأَلْوَانِهَا وَأَشْكَالِهَا مِمَّا يَصْنَعُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَيَجْلِبُهُ إِلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَقَالِيمِ وَالنَّوَاحِي.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أَيْ: مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ»[1].

وَلَا شَكَّ أَنَّ قِيمَةَ الِاحْتِرَامِ مِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ النَّبِيلَةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ وَالَّتِي يَتَمَنَّى كُلُّ إِنْسَانٍ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَيْهَا أَوْ يُوصَفَ بِهَا، وَلَقَدْ دَعَا دِينُنَا الْحَنِيفُ إِلَى التَّحَلِّي بِهَذِهِ الْقِيمَةِ فِي جَمِيعِ صُوَرِهَا.

إِنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ يَحْتَرِمُ الْإِنْسَانَ، وَيَدْعُو إِلَى احْتِرَامِهِ وَتَكْرِيمِهِ، وَقَدْ أَكْثَرَ اللهُ -تَعَالَى- فِي الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ الِاحْتِرَامِ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ، أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ بِاسْتِعْمَالِ الْأَدَبِ وَالِاحْتِرَامِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْخَلْقِ، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

«أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْإِحْسَانِ إِلَىٰ النَّاسِ عُمُومًا، فَقَالَ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وَمِنَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ: أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُهُمُ الْعِلْمَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَالْبَشَاشَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ.

---

(١) «**تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ**»: لابن كثير (٥/ ٩٧).

وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَسَعُ النَّاسَ بِمَالِهِ؛ أَمَرَ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ بِهِ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ بِالْقَوْلِ، فَيَكُونُ فِي ضِمْنِ ذَلِكَ: النَّهْيُ عَنِ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ لِلنَّاسِ؛ حَتَّىٰ لِلْكُفَّارِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وَمِنْ أَدَبِ الْإِنْسَانِ الَّذِي أَدَّبَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ: أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ نَزِيهًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، غَيْرَ فَاحِشٍ وَلَا بَذِيءٍ، وَلَا شَاتِمٍ، وَلَا مُخَاصِمٍ، بَلْ يَكُونُ حَسَنَ الْخُلُقِ، وَاسِعَ الْحِلْمِ، مُجَامِلًا لِكُلِّ أَحَدٍ(١)، صَبُورًا عَلَىٰ مَا يَنَالُهُ مِنْ أَذَىٰ الْخَلْقِ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ، وَرَجَاءً لِثَوَابِهِ»(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

«هَذَا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِهَا، فَقَالَ: ﴿**ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ**﴾ أَيْ: إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ أَعْدَاؤُكَ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَلَا تُقَابِلْهُمْ بِالْإِسَاءَةِ، مَعَ أَنَّهُ يَجُوزُ مُعَاقَبَةُ الْمُسِيءِ بِمِثْلِ إِسَاءَتِهِ؛ وَلَكِنِ ادْفَعْ إِسَاءَتَهُمْ إِلَيْكَ بِالْإِحْسَانِ مِنْكَ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنْكَ عَلَىٰ الْمُسِيءِ.

وَمِنْ مَصَالِحِ ذَلِكَ: أَنَّهُ تَخِفُّ الْإِسَاءَةُ عَنْكَ فِي الْحَالِ وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَنَّهُ أَدْعَىٰ لِجَلْبِ الْمُسِيءِ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ نَدَمِهِ وَأَسَفِهِ، وَرُجُوعِهِ بِالتَّوْبَةِ عَمَّا

---

(١) إلا من خالف الكتاب والسنة.

(٢) «**تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ**»: (ص٥٧).

فَعَلَ، وَيَتَّصِفُ الْعَافِي بِصِفَةِ الْإِحْسَانِ، وَيَقْهَرُ بِذَلِكَ عَدُوَّهُ الشَّيْطَانَ، وَيَسْتَوْجِبُ الثَّوَابَ مِنَ الرَّبِّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٥] أَيْ: مَا يُوَفَّقُ لِهَذَا الْخُلُقِ الْجَمِيلِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أَيْ: بِمَا يَقُولُونَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ، قَدْ أَحَاطَ عِلْمُنَا بِذَلِكَ، وَقَدْ حَلِمْنَا عَنْهُمْ، وَأَمْهَلْنَاهُمْ، وَصَبَرْنَا عَلَيْهِمْ، وَالْحَقُّ لَنَا، وَتَكْذِيبُهُمْ لَنَا، فَأَنْتَ -يَا مُحَمَّدُ- يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَصْبِرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ، وَتُقَابِلَهُمْ بِالْإِحْسَانِ، هَذِهِ وَظِيفَةُ الْعَبْدِ فِي مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ مِنَ الْبَشَرِ»(١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

«وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الْمُوجِبَةِ لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾، وَهَذَا أَمْرٌ بِكُلِّ كَلَامٍ يُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ؛ مِنْ قِرَاءَةٍ، وَذِكْرٍ، وَعِلْمٍ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، وَكَلَامٍ حَسَنٍ لَطِيفٍ مَعَ الْخَلْقِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ حَسَنَيْنِ؛ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ بِإِيثَارِ أَحْسَنِهِمَا إِنْ لَمْ يُمْكِنِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا.

---

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ»: (ص٥٥٨).

وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ دَاعٍ لِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ مَلَكَ جَمِيعَ أَمْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أَيْ: يَسْعَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ بِمَا يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَدَوَاءُ هَذَا أَلَّا يُطِيعُوهُ فِي الْأَقْوَالِ غَيْرِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَلِينُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ لِيَنْقَمِعَ الشَّيْطَانُ الَّذِي يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ؛ فَإِنَّهُ عَدُوُّهُمُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُحَارِبُوهُ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُوهُمْ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ.

وَأَمَّا إِخْوَانُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَسَعَىٰ فِي الْعَدَاوَةِ فَإِنَّ الْحَزْمَ كُلَّ الْحَزْمِ السَّعْيُ فِي ضِدِّ عَدُوِّهِمْ، وَأَنْ يَقْمَعُوا أَنْفُسَهُمُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، الَّتِي يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ مِنْ قِبَلِهَا؛ فَبِذَلِكَ يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ، وَيَسْتَقِيمُ أَمْرُهُمْ، وَيُهْدَوْنَ لِرُشْدِهِمْ»(١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

«يَنْهَىٰ -تَعَالَىٰ- عَنْ مُجَادَلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا كَانَتْ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ الْمُجَادِلِ، أَوْ بِغَيْرِ قَاعِدَةٍ مَرْضِيَّةٍ، **وَأَلَّا يُجَادِلُوا إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ بِحُسْنِ خُلُقٍ، وَلُطْفٍ، وَلِينِ كَلَامٍ، وَدَعْوَةٍ إِلَىٰ الْحَقِّ وَتَحْسِينِهِ، وَرَدٍّ عَنِ الْبَاطِلِ وَتَهْجِينِهِ بِأَقْرَبِ طَرِيقٍ مُوَصِّلٍ لِذَلِكَ**، وَأَلَّا يَكُونَ الْقَصْدُ مِنْهَا مُجَرَّدَ الْمُجَادَلَةِ وَالْمُغَالَبَةِ، وَحُبِّ الْعُلُوِّ، بَلْ يَكُونُ الْقَصْدُ بَيَانَ الْحَقِّ وَهِدَايَةَ الْخَلْقِ؛ إِلا مَنْ ظَلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنْ

---

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ»: (ص٤٦٠).

ظَهَرَ مِنْ قَصْدِهِ وَحَالِهِ أَنَّهُ لَا إِرَادَةَ لَهُ فِي الْحَقِّ، وَإِنَّمَا يُجَادِلُ عَلَىٰ وَجْهِ الْمُشَاغَبَةِ وَالْمُغَالَبَةِ، فَهَذَا لَا فَائِدَةَ فِي جِدَالِهِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا ضَائِعٌ»[1].

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

«هَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَىٰ النَّفْيِ الْمُتَقَرِّرِ، أَيْ: لَا أَحَدَ أَحْسَنُ قَوْلًا -أَيْ: كَلَامًا وَطَرِيقَةً وَحَالَةً- مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ بِتَعْلِيمِ الْجَاهِلِينَ، وَوَعْظِ الْغَافِلِينَ وَالْمُعْرِضِينَ، وَمُجَادَلَةِ الْمُبْطِلِينَ، بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، وَالْحَثِّ عَلَيْهَا، وَتَحْسِينِهَا مَهْمَا أَمْكَنَ، وَالزَّجْرُ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَتَقْبِيحُهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ يُوجِبُ تَرْكَهُ؛ خُصُوصًا مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ أَصْلِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَتَحْسِينِهِ، وَمُجَادَلَةِ أَعْدَائِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالنَّهْيُ عَمَّا يُضَادُّهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَمِنَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ: تَحْبِيبُهُ إِلَىٰ عِبَادِهِ بِذِكْرِ تَفَاصِيلِ نِعَمِهِ، وَسَعَةِ جُودِهِ، وَكَمَالِ رَحْمَتِهِ، وَذِكْرِ أَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ.

وَمِنَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ: التَّرْغِيبُ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ وَالْهُدَىٰ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ طَرِيقٍ مُوَصِّلٍ إِلَيْهِ.

---

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ»: (ص٦٣٢).

وَمِنْ ذَلِكَ: الْحَثُّ عَلَىٰ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ عُمُومِ الْخَلْقِ، وَمُقَابَلَةُ الْمُسِيءِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْأَمْرُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: الْوَعْظُ لِعُمُومِ النَّاسِ فِي أَوْقَاتِ الْمَوَاسِمِ، وَالْعَوَارِضِ، وَالْمَصَائِبِ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْحَالَ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا تَنْحَصِرُ أَفْرَادُهُ مِمَّا تَشْمَلُهُ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَالتَّرْهِيبِ مِنْ جَمِيعِ الشَّرِّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أَيْ: مَعَ دَعْوَتِهِ الْخَلْقَ إِلَىٰ اللهِ بَادَرَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَىٰ امْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُرْضِي رَبَّهُ، ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أَيِ: الْمُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ، السَّالِكِينَ فِي طَرِيقِهِ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ تَمَامُهَا لِلصِّدِّيقِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا عَلَىٰ تَكْمِيلِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَكْمِيلِ غَيْرِهِمْ، وَحَصَلَتْ لَهُمُ الْوِرَاثَةُ التَّامَّةُ مِنَ الرُّسُلِ، كَمَا أَنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ قَوْلًا: مَنْ كَانَ مِنْ دُعَاةِ الضَّالِّينَ السَّالِكِينَ لِسُبُلِهِ.

وَبَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ الْمُتَبَايِنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ارْتَفَعَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَىٰ أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ وَنَزَلَتِ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَسْفَلَ سَافِلِينَ مَرَاتِبُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، وَكُلُّهَا مَعْمُورَةٌ بِالْخَلْقِ، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ﴾ أَيْ: لَا يَسْتَوِي فِعْلُ الْحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ لِأَجْلِ رِضَا اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَلَا فِعْلُ السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تُسْخِطُهُ وَلَا تُرْضِيهِ، وَلَا يَسْتَوِي الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْخَلْقِ، وَلَا الْإِسَاءَةُ إِلَيْهِمْ، لَا فِي ذَاتِهَا، وَلَا فِي وَصْفِهَا، وَلَا فِي جَزَائِهَا ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْسَانٍ خَاصٍّ لَهُ مَوْقِعٌ كَبِيرٌ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، فَقَالَ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أَيْ: فَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ مُسِيءٌ مِنَ الْخَلْقِ -خُصُوصًا مَنْ لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَيْكَ؛ كَالْأَقَارِبِ، وَالْأَصْحَابِ، وَنَحْوِهِمْ- إِسَاءَةً بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ؛ فَقَابِلْهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَطَعَكَ فَصِلْهُ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَاعْفُ عَنْهُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فِيكَ غَائِبًا أَوْ حَاضِرًا فَلَا تُقَابِلْهُ، بَلِ اعْفُ عَنْهُ، وَعَامِلْهُ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ، وَإِنْ هَجَرَكَ، وَتَرَكَ خِطَابَكَ؛ فَطَيِّبْ لَهُ الْكَلَامَ، وَابْذُلْ لَهُ السَّلَامَ، فَإِذَا قَابَلْتَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ؛ حَصَلَتْ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ أَيْ: كَأَنَّهُ قَرِيبٌ شَفِيقٌ.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أَيْ: وَمَا يُوَفَّقُ لِهَذِهِ الْخَصْلَةِ الْحَمِيدَةِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ نُفُوسَهُمْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ، وَأَجْبَرُوهَا عَلَىٰ مَا يُحِبُّهُ اللهُ؛ فَإِنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ، وَعَدَمِ الْعَفْوِ عَنْهُ؛ فَكَيْفَ بِالْإِحْسَانِ؟!!

فَإِذَا صَبَرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ، وَعَرَفَ جَزِيلَ الثَّوَابِ، وَعَلِمَ أَنَّ مُقَابَلَتَهُ لِلْمُسِيءِ بِجِنْسِ عَمَلِهِ لَا يُفِيدُهُ شَيْئًا، وَلَا يَزِيدُ الْعَدَاوَةَ إِلَّا شِدَّةً، وَأَنَّ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ لَيْسَ بِوَاضِعٍ قَدْرِهِ، بَلْ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ؛ هَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَفَعَلَ ذَلِكَ مُتَلَذِّذًا مُسْتَحْلِيًا لَهُ.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ لِكَوْنِهَا مِنْ خِصَالِ خَوَاصِّ الْخَلْقِ الَّتِي يَنَالُ بِهَا الْعَبْدُ الرِّفْعَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ خِصَالِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»[1].

---

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ»: (ص٧٤٩).

وَذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جُمْلَةً مِنْ أَخْلَاقِ وَخِصَالِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ؛ مِنْهَا: التَّوَاضُعُ، وَمُقَابَلَتُهُ إِسَاءَةَ الْمُسِيءِ بِالْإِحْسَانِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

«**الْعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ نَوْعَانِ**: عُبُودِيَّةٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ، فَهَذِهِ يَشْتَرِكُ فِيهَا سَائِرُ الْخَلْقِ؛ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، بَرُّهُمْ وَفَاجِرُهُمْ، فَكُلُّهُمْ عَبِيدٌ لِلَّهِ، مَرْبُوبُونَ مُدَبَّرُونَ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وَعُبُودِيَّةٌ لِأُلُوهِيَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَهِيَ عُبُودِيَّةُ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَهِيَ الْمُرَادُ هُنَا؛ وَلِهَذَا أَضَافَهَا إِلَىٰ اسْمِهِ (الرَّحْمَن)، إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُمْ إِنَّمَا وَصَلُوا إِلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ، فَذَكَرَ أَنَّ صِفَاتِهِمْ أَكْمَلُ الصِّفَاتِ، وَنُعُوتَهُمْ أَفْضَلُ النُّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أَيْ: سَاكِنِينَ مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ وَالْخَلْقِ، فَهَذَا وَصْفٌ لَهُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ وَالتَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ أَيْ: خِطَابَ جَهْلٍ؛ بِدَلِيلِ إِضَافَةِ الْفِعْلِ وَإِسْنَادِهِ لِهَذَا الْوَصْفِ ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أَيْ: خَاطَبُوهُمْ خِطَابًا يَسْلَمُونَ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ، وَيَسْلَمُونَ مِنْ مُقَابَلَةِ الْجَاهِلِ بِجَهْلِهِ، وَهَذَا مَدْحٌ لَهُمْ بِالْحِلْمِ الْكَثِيرِ، وَمُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْعَفْوِ عَنِ الْجَاهِلِ، وَرَزَانَةِ الْعَقْلِ الَّذِي أَوْصَلَهُمْ إِلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ»(١).

وَقَدْ نَهَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اقْتِرَافِ كُلِّ مَا يَخْدِشُ الْأُخُوَّةَ، وَعَنِ فِعْلِ كُلِّ مَا يُسِيءُ إِلَى التَّقْدِيرِ وَالِاحْتِرَامِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ؛ فَنَهَى أَنْ يَعِيبَ أَحَدٌ أَحَدًا، وَنَهَى عَنِ التَّنَابُزِ بِالْأَلْقَابِ، وَعَنِ الظَّنِّ السَّيِّئِ، وَعَنِ الْغِيبَةِ، وَالتَّجَسُّسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ»: (ص٥٨٧).

فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشَرِيعَتِهِ! لَا يَهْزَأْ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ مِنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ؛ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ الْمَهْزُوءُ بِهِ مِنْهُمْ خَيْرًا مِنَ الْهَازِئِينَ، وَلَا يَهْزَأْ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ مِنْ نِسَاءٍ مُؤْمِنَاتٍ؛ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ الْمَهْزُوءُ بِهِ مِنْهُنَّ خَيْرًا مِنَ الْهَازِئَاتِ، وَلَا يَعِبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَدْعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَا يَكْرَهُ مِنَ الْأَلْقَابِ، بِئْسَ الصِّفَةُ وَالِاسْمُ الْفُسُوقُ، وَهُوَ السُّخْرِيَةُ وَاللَّمْزُ وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ بَعْدَمَا دَخَلْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَعَقِلْتُمُوهُ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ هَذِهِ السُّخْرِيَةِ وَاللَّمْزِ وَالتَّنَابُزِ وَالْفُسُوقِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِارْتِكَابِ هَذِهِ الْمَنَاهِي.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ! اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ ظَنِّ السُّوءِ بِالْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّ بَعْضَ ذَلِكَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وَلَا تُفَتِّشُوا عَنْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَقُلْ بَعْضُكُمْ فِي بَعْضٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا يَكْرَهُ.

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَكْلَ لَحْمِ أَخِيهِ وَهُوَ مَيِّتٌ؟!!

فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ ذَلِكَ، فَاكْرَهُوا اغْتِيَابَهُ، وَخَافُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ»(١).

---

(١) «التَّفْسِيرُ الْمُيَسَّرِ»: (ص٥١٧).

إِنَّ الْمَرْءَ بِأَخْلَاقِهِ وَدِينِهِ يَسَعُ النَّاسَ، وَلَا يَسَعُهُمْ بِمَالِهِ وَأَمْلَاكِهِ، وَاحْتِرَامُ النَّاسِ وَتَوْقِيرُهُمْ أَدَبٌ رَفِيعٌ يَتَحَلَّى بِهِ الْمُوَفَّقُونَ مِنْ عِبَادِ اللهِ.

لَقَدْ تَزَيَّنَ بِاحْتِرَامِ النَّاسِ سَيِّدُ الْخَلْقِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَكَانَ مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ فِي احْتِرَامِهِ لِلنَّاسِ؛ حَتَّى أُعْجِبَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ قَبْلَ أَصْحَابِهِ(١)، قَالَ لَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٣-٤].

«﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أَيْ: عَلِيٌّ بِهِ، مُسْتَعْلٍ بِخُلُقِكَ الَّذِي مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ بِهِ». (*).

لَقَدْ أَمَرَ نَبِيُّنَا ﷺ بِالتَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ الْجَمِيلَةِ، وَذَلِكَ يَشْمَلُ احْتِرَامَهُمْ وَتَقْدِيرَهُمْ، وَعَدَمَ جَرْحِ مَشَاعِرِهِمْ وَأَحَاسِيسِهِمْ؛ فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ(٣).

---

(١) مختصر من خطبة: «احترام الناس».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «قِرَاءَةُ تَفْسِيرِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَلَمِ» - الثُّلَاثَاءُ ١١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ| ٢٦-١-٢٠١٠م.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٥/ ١٥٣، رقم ٢١٣٥٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ، (١٩٨٧)، وَالْحَاكِمُ فِي «**الْمُسْتَدْرَكِ**»: (١/ ٥٥، رقم ١٧٨).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَقال الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ»، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ**»: (٣/ ١٢، رقم ٢٦٥٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ** -الزَّعِيمُ هَاهُنَا: الضَّامِنُ- **بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ**(٢) -رَبَضُ الْجَنَّةِ: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا، تَشْبِيهًا بِالْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَتَحْتَ الْقِلَاعِ- **لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ** -أَيِ: الْجَدَلَ- **وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**»(٣). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.(*).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٢/ ٢٥٠، رقم ٧٤٠٢)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ السُّنَّةِ: بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، (٤٦٨٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الرَّضَاعِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، (١١٦٢)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «**الصَّحِيحِ**»: بِتَرْتِيبِ ابْنِ بَلْبَانَ (٩/ ٤٨٣، رقم ٤١٧٦)، وَالْحَاكِمُ فِي «**الْمُسْتَدْرَكِ**»: (١/ ٤٣، رقم ١و٢).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَقال الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ» وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (١/ ٥٧٣، رقم ٢٨٤).

(٢) «فِي ربض الجنة»، أي: حوالي الجنة وأطرافها لا في وسطها.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، (٤٨٠٠).

وَالْحَدِيث حَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (١/ ٥٥٢-٥٥٦، رقم ٢٧٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

فَجَعَلَ الْبَيْتَ الْعُلْوِيَّ جَزَاءً لِأَعْلَىٰ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْأَوْسَطَ لِأَوْسَطِهَا، وَهُوَ تَرْكُ الْكَذِبِ، وَالْأَدْنَىٰ لِأَدْنَاهَا، وَهُوَ تَرْكُ الْمُمَارَاةِ؛ وَإِنْ كَانَ مَعَهُ حَقٌّ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ هَذَا كُلِّهِ.(*).

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ(٢) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، **أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَهَا فَقَالَ:** «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

قَالَتْ: «أَلَيْسَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟».

قَالَ: «بَلَىٰ».

قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ».

وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»(٣). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَوَّالٍ ١٣٨هـ| ٢٢-٧-٢٠١٧م.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ: بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، (٧٤٦).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، (٤٧٩٨)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «**الصَّحِيحِ**»: بِتَرْتِيبِ ابْنِ بَلْبَانَ (٢/ ٢٢٨، رقم ٤٨٠).
وَالْحَدِيث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ**»: (٣/ ٨، رقم ٢٦٤٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ؛ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟».

قَالَ: «**الْمُتَكَبِّرُونَ**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.(*).

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ(٤) **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ [الأعراف: ١٩٩] قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللهُ -يَعْنِي: هَذِهِ الْآيَةَ- إِلَّا فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ».

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٢/ ٣٨١، رقم ٨٩٥٢)، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»: (ص١٠٤، رقم ٢٧٣)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»: (٢/ ٦١٣، رقم ٤٢٢١)، وَقَدْ سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

وَالْحَدِيث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (١/ ١١٢، رقم ٤٥)..

(٢) أَخْرَجَهُ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الأَخْلَاقِ، (٢٠١٨).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هذا حديث حسن غريب»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (٢/ ٤١٨، رقم ٧٩١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ: بَابُ «﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾»، (٤٦٤٣).

وَعَنْهُ -أَيْضًا- قَالَ: «أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ»(١)، أَوْ كَمَا قَالَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه **قَالَ**: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟

فَقَالَ: «**تَقْوَىٰ اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**».

وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟

فَقَالَ: «**الْفَمُ، وَالْفَرْجُ**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٣) **-وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **قَالَ**: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَىٰ هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتِنِي».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ: بَابُ «﴿ **خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ** ﴾»، (٤٦٤٤).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ، (٢٠٠٤)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الزُّهْدِ: بَابُ ذِكْرِ الذُّنُوبِ، (٤٢٤٦)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «**الصَّحِيحِ**»: بِتَرْتِيبِ ابْنِ بَلْبَانَ (٢/ ٢٢٤، رقم ٤٧٦).
قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (٢/ ٦٦٩، رقم ٩٧٧).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رضي الله عنه، (٣٨٦١)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم: بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، (٢٤٧٤).

فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّىٰ قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ لَهُ: «رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ». الْحَدِيثَ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»(١).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ**»(٢). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَىٰ النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ**(٣)**؟ عَلَىٰ كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ**(٤) **سَهْلٍ**(٥)»(٦). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، (٤٧٩٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ، (٢٠٠٢ و٢٠٠٣).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (٢/ ٥٣٥، رقم ٨٧٦).

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٣) «حرم علىٰ النار»، أي: يمنع عنها.

(٤) «كل هين لين»، أي: كل موقرا رفيقا لغيره.

(٥) «سهل»، أي: في قضاء حوائجهم.

(٦) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، (٢٤٨٨).

=

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ؛ الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا؛ وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(٣). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»(٤). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

=

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وَصَحَّحَهُ بِشَوَاهِدِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (٢/ ٦١١، رقم ٩٣٨).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ...، (١٧).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْجَنَّةِ: بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، (٢٨٦٥).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، (٢٦٢٦).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الزَّكَاةِ: بَابُ عَطِيَّةِ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ، (١٦٧٢)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «**الْمُجْتَبَىٰ**»: كِتَابُ الزَّكَاةِ: مَنْ سَأَلَ بِاللهِ، (٢٥٦٧).

=

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**»(١). (*).

إِنَّ الرِّفْقَ فِي الْمُعَامَلَاتِ مَعَ النَّاسِ مِنْ أَوْضَحِ دَلَائِلِ احْتِرَامِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ؛ فَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ**». وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٣).

«**الرِّفْقُ**»: لِينُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَهُوَ اللُّطْفُ، وَهُوَ خِلَافُ الْعُنْفِ.

«**مَنْ يُحْرَمْ**»: هَاهُنَا مِنَ الْمَنْعِ وَالْحِرْمَانِ.

«**يُحْرَمِ الْخَيْرَ**»؛ أَيْ: يُفْضِي بِهِ إِلَىٰ أَنْ يُحْرَمَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ فِيمَا لَوْ تَعَامَلَ مَعَهُمْ بِالْغِلْظَةِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ انْفِضَاضِ أَصْحَابِهِ؛ فَكَيْفَ لَوْ تَعَامَلَ بِذَلِكَ مَنْ هُوَ دُونَهُ مَعَ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ؟!!

=

وَالْحَدِيث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ**»: (٥/ ٣٦٣، رقم ١٤٦٩).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَدَبِ: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**»، (٦١٢٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْجِهَادِ: بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ، (١٧٣٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ، (٢٥٩٢).

وَأَنْتَ تَرَىٰ -حَفِظَكَ اللهُ- بُعْدَ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ.

فَالرِّفْقَ الرِّفْقَ!

وَاللِّينَ اللِّينَ! إِلَّا فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ، فَيَتَوَجَّبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَأْتِيَ بِالشِّدَّةِ فِي مَوَاضِعِهَا.

فَالرِّفْقَ الرِّفْقَ.. وَاللِّينَ اللِّينَ؛ حَتَّىٰ تُبَلِّغَ دِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الرِّفْقَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْمَلَ حَيَاةَ الْمُسْلِمِ، فَمَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(*).

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»(٢). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

«**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»؛ أَيْ: يُحِبُّ لِينَ الْجَانِبِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَيُحِبُّ الْأَخْذَ بِالْأَسْهَلِ مَا لَمْ يُخَالِفِ الشَّرْعَ.

فِي حَدِيثِ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عِنْدَ مُسْلِمٍ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ**»(٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص٢٠٦٢-٢٠٦٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَدَبِ: بَابُ الرِّفْقِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، (٦٠٢٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ السَّلَامِ: بَابُ النَّهْيِ عَنِ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ، (٢١٦٥).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ، (٢٥٩٣).

أَيْ: يَتَأَتَّىٰ مِنَ الرِّفْقِ مَا لَا يَتَأَتَّىٰ مَعَ نَقِيضِهِ وَضِدِّهِ.

يَنْبَغِي عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُعَوِّدَ لِسَانَهُ عَلَىٰ الْأَدَبِ، وَأَلَّا يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِالسَّبِّ حَتَّىٰ لَا يُدْمِنَهُ.(*).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ**»(٢).
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.(*/٢).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ احْتِرَامِ الْمُسْلِمِ تَحْرِيمُ الْغِيبَةِ وَالْبُهْتَانِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**».

قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**».

قَالَ: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص: ٢٠٥٧-٢٠٦١).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّفْقِ، (٢٠١٣)، وَقَالَ: «وَفِي البَابِ عَنْ عَائِشَةَ، وَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ**»: (٣/ ١٥، رقم ٢٦٦٧).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.(*).

وَقَالَ ﷺ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ** -أَيْ: كَافِيهِ- **أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ**»(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(*/٢).

وَقَدْ أَحَقَّ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ حُقُوقًا دَالَّةً عَلَى الْحَثِّ عَلَى تَقْدِيرِهِ، وَالتَّرْغِيبِ فِي تَوْقِيرِهِ وَاحْتِرَامِهِ، قَالَ ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»(٥). (*/٣).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ تَحْرِيمِ الْغِيبَةِ، (٢٥٨٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الْغِيبَةُ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ١٤٣٧هـ| ١٢-٢-٢٠١٦م.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ النِّكَاحِ: بَابُ لَا يَخْطُبُ عَلَىٰ خِطْبَةِ أَخِيهِ...، (٥١٤٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ...، (٢٥٦٤)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ| ١٨-٣-٢٠١٦م.

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ تَحْرِيمِ الْغِيبَةِ، (٢١٦٢)، من طريق: الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وأصله فِي «**الصَّحِيحَيْنِ**» من طريق: ابْنِ شِهَابٍ الزهري، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ خَمْسٌ:...» الحديث.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقَبَاتٌ فِي طَرِيقِ الدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٨هـ| ٢٠-١-٢٠١٧م.

وَمِنْ مَظَاهِرِ احْتِرَامِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: التَّوَاضُعُ لَهُ، وَعَدَمُ احْتِقَارِهِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَيْهِ؛ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عنه ﷺ: «**وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.(*).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٣) بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**».

فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَأَنْ تَكُونَ نَعْلُهُ حَسَنَةً».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**».

هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَعَرَّفَهُ، وَحَدَّدَهُ؛ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَهُ، وَأَنْ يَحْذَرَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يُسَامِحُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ؛ لَنْ يُدْخِلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، وَ«**مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**»: شَيْءٌ يَسِيرٌ، شَيْءٌ قَلِيلٌ، شَيْءٌ لَا وَزْنَ لَهُ؛ وَلَكِنَّهُ إِنْ دَخَلَ الْقَلْبَ أَفْسَدَهُ، وَاسْتَحَقَّ صَاحِبُهُ النَّارَ.

«**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْجَنَّةِ: بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، (٢٨٦٥)، مِنْ حَدِيثِ: عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «فَضْلُ الْعِلْمِ» (ص: ٤٥٥).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، (٩١).

اسْتَشْكَلَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ الْأَمْرَ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَحَدَنَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَأَنْ تَكُونَ نَعْلُهُ حَسَنَةً»، فَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْكِبْرِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُفَسِّرًا، وَمُوَضِّحًا، وَمُبَيِّنًا: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**»؛ يَعْنِي: هَذَا لَيْسَ مِنَ الْكِبْرِ فِي شَيْءٍ، إِلَّا إِنْ قُصِدَ بِهِ أَنْ يَعْلُوَ النَّاسُ بِهِ النَّاسَ، فَمَنْ قَصَدَ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ فَقَدِ اسْتَكْبَرَ بِهِ، وَأَمَّا أَنْ يَتَّخِذَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُحِبُّهُ، وَيُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ جَمِيلًا مَقْبُولًا فِي غَيْرِ مَا إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ، وَلَا كِبْرِيَاءَ، وَلَا عُجْبٍ؛ فَهَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**».

«**الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**».

«**بَطَرُ الْحَقِّ**»: دَفْعُهُ، وَرَدُّهُ عَلَىٰ مَنْ جَاءَ بِهِ؛ إِمَّا لِاخْتِلَافِ مَذْهَبِهِ، وَإِمَّا لِصِغَرِ سِنِّهِ، وَإِمَّا لِحَقَارَةِ أَصْلِهِ، وَإِمَّا لِفَقْرِهِ، الْمُهِمُّ أَنَّهُ يُرَدُّ عَلَيْهِ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ.

«**الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»: احْتِقَارُهُمْ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمْ بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ، وَعَدُّهُمْ هَبَاءً لَا قِيمَةَ لَهُمْ، وَمَا يَعْلَمُ التَّقِيَّ مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا اللهُ، وَالْمِيزَانُ الَّذِي بِهِ الْإِكْرَامُ عِنْدَ اللهِ: تَقْوَىٰ اللهِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الِاحْتِرَامَ قِيمَةٌ دَعَا إِلَيْهَا الشَّرْعُ الْحَنِيفُ كِتَابًا وَسُنَّةً؛ فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَى أَنْ تَسُودَ قِيمَةُ الِاحْتِرَامِ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا، وَتَتَحَوَّلَ إِلَى ثَقَافَةٍ عَامَّةٍ يَتَعَايَشُ بِهَا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَيَحْيَا بِهَا الْمُجْتَمَعُ وَيَرْتَقِي؛ حَتَّى يَعُمَّ التَّآلُفُ، وَالرُّقِيُّ، وَالتَّقَدُّمُ، وَالِاسْتِقْرَارُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مَوْعِظَة: «الْكِبْرُ».

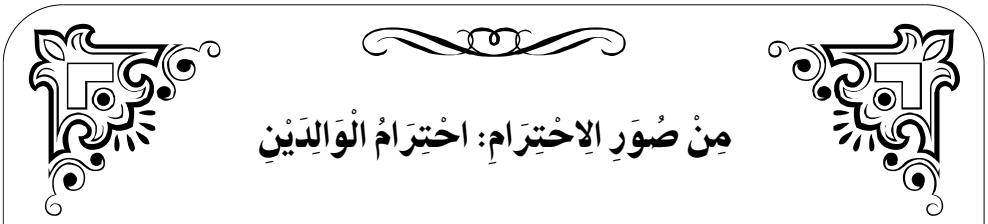

مِنْ صُوَرِ الِاحْتِرَامِ: احْتِرَامُ الْوَالِدَيْنِ

لَقَدْ أَكَّدَ الْإِسْلَامُ عَلَى ضَرُورَةِ احْتِرَامِ الْوَالِدَيْنِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَالِاعْتِنَاءِ بِهِمَا، وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

«﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أَيْ: أَحْسِنُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَهَذَا يَعُمُّ كُلَّ إِحْسَانٍ قَوْلِيٍّ وَفِعْلِيٍّ مِمَّا هُوَ إِحْسَانٌ إِلَيْهِمْ، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْإِسَاءَةِ إِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ، أَوْ عَدَمِ الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ الْإِحْسَانُ، وَالْأَمْرُ بِالشَّيْءِ نَهْيٌ عَنْ ضِدِّهِ.

وَلِلْإِحْسَانِ ضِدَّانِ: الْإِسَاءَةُ، وَهِيَ أَعْظَمُ جُرْمًا، وَتَرْكُ الْإِحْسَانِ بِدُونِ إِسَاءَةٍ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ؛ لَكِنْ لَا يَجِبُ أَنْ يَلْحَقَ بِالْأَوَّلِ، وَكَذَا يُقَالُ فِي صِلَةِ الْأَقَارِبِ، وَالْيَتَامَىٰ، وَالْمَسَاكِينِ، وَتَفَاصِيلُ الْإِحْسَانِ لَا تَنْحَصِرُ بِالْعَدِّ، بَلْ تَكُونُ بِالْحَدِّ»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا

(١) «تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ»: (ص٥٥٨).

كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤].

«﴿وَقَضَىٰ﴾ أَيْ: أَمَرَ وَأَلْزَمَ وَأَوْجَبَ، أَمَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَجَعَلَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ مَقْرُونًا بِذَلِكَ، كَمَا قَرَنَ شُكْرَهُمَا بِشُكْرِهِ، فَقَالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، وَقَالَ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ ﷻ؟».

قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**».

قَالَ: «ثُمَّ أَيٌّ؟».

قَالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**».

قَالَ: «ثُمَّ أَيٌّ؟».

قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١). فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ، وَرَتَّبَ ذَلِكَ بِـ(ثُمَّ) الَّتِي تُعْطِي التَّرْتِيبَ وَالْمُهْلَةَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَدَبِ: بَابُ قَوْلِه ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾، (٥٩٧٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانَ: بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، (٨٥).

مِنَ الْبِرِّ بِهِمَا وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا: أَلَّا يَتَعَرَّضَ لِسَبِّهِمَا، وَلَا يَعُقَّهُمَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْكَبَائِرِ بِلَا خِلَافٍ، وَبِذَلِكَ وَرَدَتِ السُّنَّةُ الثَّابِتَةُ؛ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمَ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟!».

قَالَ: «**نَعَمْ، يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»(١).

عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ: مُخَالَفَتُهُمَا فِي أَغْرَاضِهِمَا الْجَائِزَةِ لَهُمَا، كَمَا أَنَّ بِرَّهُمَا: مُوَافَقَتُهُمَا عَلَىٰ أَغْرَاضِهِمَا، وَعَلَىٰ هَذَا إِذَا أَمَرَا أَوْ أَحَدُهُمَا وَلَدَهُمَا بِأَمْرٍ وَجَبَتْ طَاعَتُهُمَا فِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْأَمْرُ مَعْصِيَةً؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمَأْمُورُ بِهِ مِنْ قَبِيلِ الْمُبَاحِ فِي أَصْلِهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ الْمَنْدُوبِ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَىٰ أَنَّ أَمْرَهُمَا بِالْمُبَاحِ يُصَيِّرُهُ فِي حَقِّ الْوَلَدِ مَنْدُوبًا إِلَيْهِ، وَأَمْرَهُمَا بِالْمَنْدُوبِ يَزِيدُهُ تَأْكِيدًا فِي نَدْبِيَّتِهِ.

رَوَىٰ التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ أُحِبُّهَا، وَكَانَ أَبِي يَكْرَهُهَا، فَأَمَرَنِي أَنْ أُطَلِّقَهَا فَأَبَيْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ! طَلِّقِ امْرَأَتَكَ**»(٢). قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَدَبِ: بَابٌ: لَا يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، (٥٩٧٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، (٩٠).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الطَّلَاقِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يَسْأَلُهُ أَبُوهُ أَنْ يُطَلِّقَ زَوْجَتَهُ، (١١٨٩)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الطَّلَاقِ: بَابُ الرَّجُلِ يَأْمُرُهُ أَبُوهُ بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ، (٢٠٨٨).

وَالْحَدِيث حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ**»: (١/ ٦٠٩، رقم ١١٨٩).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟».

قَالَ: «**أُمُّكَ**».

قَالَ: «**ثُمَّ مَنْ؟**».

قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**».

قَالَ: «**ثُمَّ مَنْ؟**».

قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**».

قَالَ: «**ثُمَّ مَنْ؟**».

قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**»(١).

فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَحَبَّةَ الْأُمِّ وَالشَّفَقَةَ عَلَيْهَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالِ مَحَبَّةِ الْأَبِ؛ لِذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ الْأُمَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَذِكْرِ الْأَبِ فِي الرَّابِعَةِ فَقَطْ، وَإِذَا تَوَصَّلَ هَذَا الْمَعْنَىٰ شَهِدَ لَهُ الْعَيَانُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ صُعُوبَةَ الْحَمْلِ وَصُعُوبَةَ الْوَضْعِ وَصُعُوبَةَ الرَّضَاعِ وَالتَّرْبِيَةِ تَنْفَرِدُ بِهَا الْأُمُّ دُونَ الْأَبِ؛ فَهَذِهِ ثَلَاثُ مَنَازِلَ يَخْلُو مِنْهَا الْأَبُ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَدَبِ: بَابٌ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، (٥٩٧١)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِهِ، (٢٥٤٨).

وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: «إِنَّ أَبِي فِي بَلَدِ السُّودَانِ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ عَلَيْهِ، وَأُمِّي تَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ».

فَقَالَ: «أَطِعْ أَبَاكَ، وَلَا تَعْصِ أُمَّكَ».

فَدَلَّ قَوْلُ مَالِكٍ هَذَا أَنَّ بِرَّهُمَا مُتَسَاوٍ عِنْدَهُ.

وَقَدْ سُئِلَ اللَّيْثُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَأَمَرَ بِطَاعَةِ الْأُمِّ، وَزَعَمَ أَنَّ لَهَا ثُلُثَيِ الْبِرِّ.

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ لَهَا ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْبِرِّ، وَهُوَ الْحُجَّةُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ.

وَقَدْ زَعَمَ الْمُحَاسِبِيُّ فِي «كِتَابِ الرِّعَايَةِ» لَهُ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ لِلْأُمِّ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْبِرِّ وَلِلْأَبِ الرُّبْعُ؛ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَاللهُ أَعْلَمُ.

لَا يَخْتَصُّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ بِأَنْ يَكُونَا مُسْلِمَيْنِ، بَلْ إِنْ كَانَا كَافِرَيْنِ يَبَرُّهُمَا وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا إِذَا كَانَ لَهُمَا عَهْدٌ؛ قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿**لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ**﴾ [الممتحنة: ٨].

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: «قَدِمَتْ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ، في عَهْدِ قُرَيْشٍ ومُدَّتِهِمْ؛ إِذْ عَاهَدُوا النبيَّ ﷺ، مع ابْنِهَا، فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ؛ أَفَأَصِلُهَا؟»[1].

---

(١) قدمت المشركة قُتَيْلَة بنت عبد الْعُزَّىٰ أُمُّ أَسْمَاءَ بِنْتِ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما التي كانت زوجة لأبي بكر وطلقها قبل الإسلام، كانت وَلَدَت له عَبْدَ اللهِ وَأَسْمَاءَ.

=

قَالَ: «**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**»(١).

وَعَنْ أَسْمَاءَ -أَيْضًا- قَالَتْ: «أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَأَصِلُهَا؟».

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: «فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِيهَا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨]»(٢).

=

وقد اخْتُلِف في إسلامها، قال النووي: «اختلف العلماء في إسلام قُتَيْلَة هل أسلمت أم ماتت علىٰ كفرها، والأكثرون علىٰ موتها مشركة»، وقال البيهقي: «وليست بأم عائشة»، وقال السيوطي: «واختلف في إسلامها، والأكثر أنها ماتت مشركة».

وهذا الموقف بين أسماء وأمها رواه البخاري عن أسماء رضي الله عنها قالت: «قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وهي مشركة في عهد قريش؛ إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم -مَا بَيْنَ الْحُدَيْبِيَةَ وَالْفَتْحِ-، فاستفتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: إن أمي قدِمت علي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم، صِلي أمك**»، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨-٩]». رواه البخاري.

قال ابن حجر في فتح الباري: «قولها رضي الله عنها: «وهي راغبة»: أي في شيء تأخذه وهي علىٰ شركها، ولهذا استأذنت أسماءُ في أن تَصِلَهَا، ولو كانت راغبة في الإسلام لم تحتج إلىٰ إذن».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**» (٥٩٧٩)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الزَّكَاةِ: بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَىٰ الْأَقْرَبِينَ...، (١٠٠٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَدَبِ: بَابُ صِلَةِ الوَالِدِ المُشْرِكِ، (٥٩٧٨).

مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا وَالْبِرِّ بِهِمَا إِذَا لَمْ يَتَعَيَّنِ الْجِهَادُ: أَلَّا يُجَاهِدَ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا.

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**».

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»(١). لَفْظُ مُسْلِمٍ.

فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ قَالَ: «نَعَمْ، وَتَرَكْتُهُمَا يَبْكِيَانِ».

قَالَ: «**اذْهَبْ فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا**»(٢).

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ: «**نَوْمُكَ مَعَ أَبَوَيْكَ عَلَىٰ فِرَاشِهِمَا يُضَاحِكَانِكَ وَيُلَاعِبَانِكَ أَفْضَلُ لَكَ مِنَ الْجِهَادِ مَعِي**». ذَكَرَهُ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادَ.

وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» فِي كِتَابِ «بِرِّ الْوَالِدَيْنِ»: أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الجِهَادِ: بَابُ الجِهَادِ بِإِذْنِ الأَبَوَيْنِ، (٣٠٠٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِهِ، (٢٥٤٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْجِهَادِ: بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو، وَأَبَوَاهُ كَارِهَانِ، (٢٥٢٨)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَىٰ» «الْكُبْرَىٰ»: كِتَابُ الْبَيْعَةِ: الْبَيْعَةُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ، (٤١٦٣)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الجِهَادِ: بَابُ الرَّجُلِ يَغْزُو وَلَهُ أَبَوَانِ، (٢٧٨٢).

وَالْحَدِيث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ**»: (٦٤٨/٢، رقم ٢٤٨١).

جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يُبَايِعُهُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ، وَتَرَكَ أَبَوَيْهِ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: «**ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا**»(١).

قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: «فِي هَذَا الْحَدِيثِ: النَّهْيُ عَنِ الْخُرُوجِ بِغَيْرِ إِذْنِ الْأَبَوَيْنِ مَا لَمْ يَقَعِ النَّفِيرُ، فَإِذَا وَقَعَ وَجَبَ الْخُرُوجُ عَلَىٰ الْجَمِيعِ، وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ...؛ فَذَكَرَ قِصَّةَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنِ رَوَاحَةَ، وَأَنَّ مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَادَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ: أَنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! اخْرُجُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ، وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ**»، فَخَرَجَ النَّاسُ مُشَاةً وَرُكْبَانًا فِي حَرٍّ شَدِيدٍ»(٢).

فَدَلَّ قَوْلُهُ: «**اخْرُجُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ**..» أَنَّ الْعُذْرَ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ إِنَّمَا هُوَ مَا لَمْ يَقَعِ النَّفِيرُ، مَعَ قَوْلِهِ عليه السلام: «**فَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»(٣).

وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمَفْرُوضَ أَوِ الْمَنْدُوبَاتِ مَتَىٰ اجْتَمَعَتْ قُدِّمَ الْأَهَمُّ مِنْهَا، وَقَدِ اسْتَوْفَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ الْمُحَاسِبِيُّ فِي كِتَابِ «الرِّعَايَةِ».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ**»: (ص١٨، رقم ١٣).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «**الْمُصَنَّفِ**»: (٧/ ٤١٢، رقم ٣٦٩٦٦)، وَأَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٥/ ٢٩٩، رقم ٢٢٥٥١).

وَالْحَدِيث حَسَّنَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ**»: (ص٣٣).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الجِهَادِ: بَابُ وُجُوبِ النَّفِيرِ، (٢٨٢٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْحَجِّ: بَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلَاهَا...، (١٣٥٣)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

مِنْ تَمَامِ بِرِّهِمَا: صِلَةُ أَهْلِ وُدِّهِمَا؛ فَفِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**»(١).

وَرَوَىٰ أَبُو أُسَيْدٍ -وَكَانَ بَدْرِيًّا- قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ جَالِسًا، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ وَالِدِيَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمَا شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ؟».

قَالَ: «**نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا بَعْدَهُمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا، فَهَذَا الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ**»(٢).

وَكَانَ ﷺ يُهْدِي لِصَدَائِقِ خَدِيجَةَ بِرًّا بِهَا وَوَفَاءً لَهَا، وَهِيَ زَوْجَتُهُ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِالْوَالِدَيْنِ؟!!

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ خَصَّ حَالَةَ الْكِبَرِ؛ لِأَنَّهَا الْحَالَةُ الَّتِي يَحْتَاجَانِ فِيهَا إِلَىٰ بِرِّهِ؛ لِتَغَيُّرِ الْحَالِ عَلَيْهِمَا بِالضَّعْفِ وَالْكِبَرِ، فَأُلْزِمَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنْ مُرَاعَاةِ أَحْوَالِهِمَا أَكْثَرَ مِمَّا أُلْزِمَهُ مِنْ قَبْلُ؛ لِأَنَّهُمَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ صَارَا كَلًّا عَلَيْهِ، فَيَحْتَاجَانِ أَنْ يَلِيَ مِنْهُمَا فِي الْكِبَرِ مَا كَانَ يَحْتَاجُ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَلِيَا مِنْهُ؛ فَلِذَلِكَ خَصَّ هَذِهِ الْحَالَةَ بِالذِّكْرِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ والصِّلَةِ: بَابُ صِلَةِ أَصْدِقَاءِ الْأَبِ..، (٢٥٥٢).
(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابٌ فِي بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، (٥١٤٢)، وَابْنُ مَاجَهْ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْأَدَبِ: بَابُ صِلْ مَنْ كَانَ أَبُوكَ يَصِلُ، (٣٦٦٤).

وَأَيْضًا فَطُولُ الْمُكْثِ لِلْمَرْءِ يُوجِبُ الِاسْتِثْقَالَ لِلْمَرْءِ عَادَةً، وَيَحْصُلُ الْمَلَلُ وَيَكْثُرُ الضَّجَرُ؛ فَيَظْهَرُ غَضَبُهُ عَلَىٰ أَبَوَيْهِ، وَتَنْتَفِخُ لَهُمَا أَوْدَاجُهُ، وَيَسْتَطِيلُ عَلَيْهِمَا بِدَالَّةِ الْبُنُوَّةِ وَقِلَّةِ الدِّيَانَةِ، وَأَقَلُّ الْمَكْرُوهِ مَا يُظْهِرُهُ بِتَنَفُّسِهِ الْمُتَرَدِّدِ مِنَ الضَّجَرِ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يُقَابِلَهُمَا بِالْقَوْلِ الْمَوْصُوفِ بِالْكَرَامَةِ، وَهُوَ السَّالِمُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ، فَقَالَ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

رَوَىٰ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ**».

قِيلَ: «مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**»(١).

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥١)، وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**».

(٢) أخرجه أحمد (١٢/ ٤٢١، ٧٤٥١)، والترمذي (٣٥٤٥) وغيرهما عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به. وقال الألباني: حسن صحيح. «التعليقات الحسان» (٢/ ٢٥٧).

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَحْضِرُوا الْمِنْبَرَ**».

فَلَمَّا خَرَجَ رَقِيَ إِلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَرَقِيَ فِي أَوَّلِ دَرَجَةٍ مِنْهُ قَالَ: «**آمِينَ**»، ثُمَّ رَقِيَ فِي الثَّانِيَةِ فَقَالَ: «**آمِينَ**»، ثُمَّ لَمَّا رَقِيَ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: «**آمِينَ**».

فَلَمَّا فَرَغَ وَنَزَلَ مِنَ الْمِنْبَرِ قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ! لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ مِنْكَ».

قَالَ: «وَسَمِعْتُمُوهُ؟».

قُلْنَا: «نَعَمْ».

قَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اعْتَرَضَ، قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ فِي الثَّانِيَةِ قَالَ: بَعُدَ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ أَوْ أَحَدُهُمَا فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ**»(١).

فَالسَّعِيدُ الَّذِي يُبَادِرُ اغْتِنَامَ فُرْصَةِ بِرِّهِمَا؛ لِئَلَّا تَفُوتَهُ بِمَوْتِهِمَا فَيَنْدَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَالشَّقِيُّ مَنْ عَقَّهُمَا؛ لَاسِيَّمَا مَنْ بَلَغَهُ الْأَمْرُ بِبِرِّهِم..

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أَيْ: لَا تَقُلْ لَهُمَا مَا يَكُونُ فِيهِ أَدْنَىٰ تَبَرُّمٍ، وَعَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ قَالَ: «الْأُفُّ: الْكَلَامُ الْقَذِعُ الرَّدِيءُ الْخَفِيُّ»، وَقَالَ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٥٦) وغيرهما. وصححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٨).

مُجَاهِدٌ: «مَعْنَاهُ: إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمَا فِي حَالِ الشَّيْخِ الْغَائِطَ وَالْبَوْلَ الَّذِي رَأَيَاهُ مِنْكَ فِي الصِّغَرِ؛ فَلَا تَقْذَرْهُمَا وَتَقُلْ أُفٍّ». وَالْآيَةُ أَعَمُّ مِنْ هَذَا.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ النَّهْرُ: الزَّجْرُ وَالْغِلْظَةُ.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أَيْ: لَيِّنًا لَطِيفًا؛ مِثْلَ: يَا أَبَتَاهُ وَيَا أُمَّاهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَمِّيَهُمَا وَيُكَنِّيَهُمَا.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: هَذِهِ اسْتِعَارَةٌ فِي الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ بِهِمَا، وَالتَّذَلُّلِ لَهُمَا تَذَلُّلَ الرَّعِيَّةِ لِلْأَمِيرِ، وَالْعَبِيدِ لِلسَّادَةِ.

فَيَنْبَغِي بِحُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مَعَ أَبَوَيْهِ فِي خَيْرِ ذِلَّةٍ فِي أَقْوَالِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَنَظَرِهِ، وَلَا يُحِدُّ إِلَيْهِمَا بَصَرَهُ؛ فَإِنَّ تِلْكَ هِيَ نَظْرَةُ الْغَاضِبِ.

ثُمَّ أَمَرَ -تَعَالَىٰ- عِبَادَهُ بِالتَّرَحُّمِ عَلَىٰ آبَائِهِمْ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ، وَأَنْ تَرْحَمَهُمَا كَمَا رَحِمَاكَ، وَتَرْفُقَ بِهِمَا كَمَا رَفَقَا بِكَ؛ إِذْ وَلِيَاكَ صَغِيرًا جَاهِلًا مُحْتَاجًا فَآثَرَاكَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا، وَأَسْهَرَا لَيْلَهُمَا، وَجَاعَا وَأَشْبَعَاكَ، وَتَعَرَّيَا وَكَسَوَاكَ، فَلَا تَجْزِهِمَا إِلَّا أَنْ يَبْلُغَا مِنَ الْكِبَرِ الْحَدَّ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مِنَ الصِّغَرِ، فَتَلِيَ مِنْهُمَا مَا وَلِيَا مِنْكَ، وَيَكُونُ لَهُمَا حِينَئِذٍ فَضْلُ التَّقَدُّمِ.

قَالَ ﷺ: «**لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ**»(١).

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾: خَصَّ التَّرْبِيَةَ بِالذِّكْرِ؛ لِيَتَذَكَّرَ الْعَبْدُ شَفَقَةَ الْأَبَوَيْنِ وَتَعَبَهُمَا فِي التَّرْبِيَةِ، فَيَزِيدُهُ ذَلِكَ إِشْفَاقًا لَهُمَا وَحَنَانًا عَلَيْهِمَا، وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْأَبَوَيْنِ الْمُؤْمِنَيْنِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَقَدْ نَهَىٰ الْقُرْآنُ عَنْ الِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ الْأَمْوَاتِ؛ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ.

فَإِذَا كَانَ وَالِدَا الْمُسْلِمِ ذِمِّيَّيْنِ؛ اسْتَعْمَلَ مَعَهُمَا مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ هَاهُنَا؛ إِلَّا التَّرَحُّمَ لَهُمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا عَلَىٰ الْكُفْرِ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ:** جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلرَّجُلِ: «**فَأْتِنِي بِأَبِيكَ**».

فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ **عَلَىٰ النَّبِيِّ** ﷺ، **فَقَالَ:** «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ فَاسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ قَالَهُ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ».

فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ! أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ؟**».

فَقَالَ: «سَلْهُ يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ أُنْفِقُهُ إِلَّا عَلَىٰ إِحْدَىٰ عَمَّاتِهِ أَوْ خَالَاتِهِ، أَوْ عَلَىٰ نَفْسِي؟!!».

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيهِ! دَعْنَا مِنْ هَذَا، أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ**».

فَقَالَ الشَّيْخُ: «وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! مَا زَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا، لَقَدْ قُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ».

قَالَ: «**قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ**».

قَالَ: قُلْتُ:

غَـذَوْتُكَ مَوْلُـودًا وَمُنْتُـكَ يَافِعًـا ... تَعِـلُّ بِمَـا أَجْنِـي عَلَيْـكَ وَتَنْهَـلُ
إِذَا لَيْلَـةٌ ضَـافَتْكَ بِالسُّـقْمِ لَـمْ أَبِـتْ ... لِسُـقْمِكَ إِلَّا سَـاهِرًا أَتَمَلْمَـلُ
كَـأَنِّي أَنَـا الْمَطْـرُوقُ دُونَـكَ بِالَّـذِي ... طُرِقْـتَ بِـهِ دُونِـي فَعَيْنِـي تَهْمُـلُ
تَخَـافُ الرَّدَىٰ نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَـا ... لَـتَعْلَمُ أَنَّ الْمَـوْتَ وَقْـتٌ مُؤَجَّـلُ
فَلَمَّـا بَلَغْـتَ السِّـنَّ وَالْغَايَـةَ الَّتِـي ... إِلَيْهَـا مَـدَىٰ مَـا كُنْـتُ فِيـكَ أُؤَمِّـلُ
جَعَلْـتَ جَزَائِـي غِلْظَـةً وَفَظَاظَـةً ... كَأَنَّـكَ أَنْـتَ الْمُـنْعِمُ الْمُتَفَضِّـلُ
فَلَيْتَـكَ إِذْ لَـمْ تَـرْعَ حَـقَّ أُبُـوَّتِي ... فَعَلْتَ كَمَا الْجَارِ الْمُصَاقِبِ يَفْعَلُ
أَوْلَيْتَنِـي حَـقَّ الْجِـوَارِ وَلَـمْ تَكُـنْ ... عَلَـيَّ بِمَـالٍ دُونَ مَالِـكَ تَبْخَـلُ

قَالَ: فَحِينَئِذٍ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَلَابِيبِ ابْنِهِ وَقَالَ: «**أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ**»(١)».

❀❀❀

(١) أخرجه الطبراني في «**المعجم الأوسط**»: (٦/ ٣٣٩-٣٤٠، رقم ٦٥٧٠)، وفي «**الصغير**»: (٢/ ١٥٢، رقم ٩٤٧)، والبيهقي في «**دلائل النبوة**»: (٦/ ٣٠٤-٣٠٥)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٧١/ ٦١-٦٢، ترجمة ٩٥٨٢)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ:
جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلرَّجُلِ: «**اذْهَبْ، فَائْتِنِي بِأَبِيكَ**»،...فذكره.
والحديث عند ابن ماجه: (٢/ ٧٦٩، رقم ٢٢٩١) مختصرا، وانظر: «**إرواء الغليل**»: (٣/ ٣٢٣ - ٣٣٠، رقم ٨٣٨).

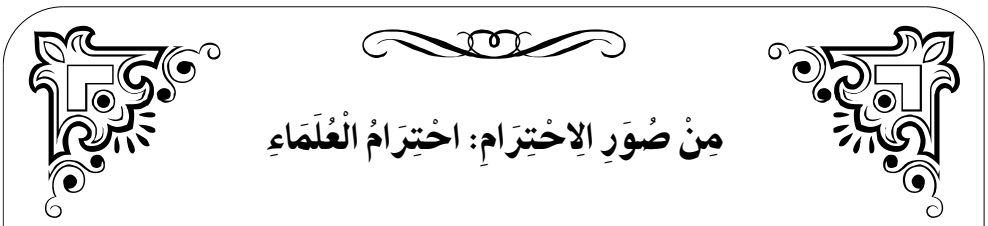

مِنْ صُوَرِ الِاحْتِرَامِ: احْتِرَامُ الْعُلَمَاءِ

إِنَّ مِنْ أَرْقَى صُوَرِ الِاحْتِرَامِ: احْتِرَامَ الْمُعَلِّمِ، وَتَوْقِيرَهُ، وَالتَّوَاضُعَ لَهُ، وَالْوَفَاءَ بِحَقِّهِ؛ لَاسِيَّمَا أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ أَعْلَى قَدْرَهُ وَكَرَّمَهُ؛ حَيْثُ قَرَنَ اللهُ ﷻ شَهَادَتَهُ وَشَهَادَةَ الْمَلَائِكَةِ بِشَهَادَةِ الْعُلَمَاءِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (١): «فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ فَضْلِ الْعِلْمِ وَشَرَفِ الْعُلَمَاءِ وَفَضْلِهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ أَشْرَفَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَقَرَنَهُمُ اللهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ مَلَائِكَتِهِ كَمَا قَرَنَ اسْمَ الْعُلَمَاءِ.

وَقَالَ فِي شَرَفِ الْعِلْمِ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَشْرَفَ مِنَ الْعِلْمِ لَأَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَسْأَلَهُ الْمَزِيدَ مِنْهُ كَمَا أَمَرَ أَنْ يَسْتَزِيدَهُ مِنَ الْعِلْمِ». (*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٤١ - ٢٤٦) باختصار.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «فَضْلُ الْعِلْمِ وَآدَابُ طَلَبَتِهِ وَطُرُقُ تَحْصِيلِهِ وَجَمْعِهِ».

«يَرْفَعِ اللهُ مَكَانَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ دَرَجَاتٍ كَثِيرَةً فِي الثَّوَابِ وَمَرَاتِبِ الرِّضْوَانِ»(١).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا؛ رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٢). (*).

مِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ: أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمَهُ بِعَيْنِ الِاحْتِرَامِ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَيَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمَهُ بِعَيْنِ الِاحْتِرَامِ، وَيَعْتَقِدَ كَمَالَ أَهْلِيَّتِهِ وَرُجْحَانَهُ عَلَىٰ أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ، فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَىٰ انْتِفَاعِهِ بِهِ، وَرُسُوخِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذِهْنِهِ.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ إِذَا ذَهَبَ إِلَىٰ مُعَلِّمِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي، وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَةَ عِلْمِهِ مِنِّي». (*/٢).

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠).

والحديث أخرج نحوه مسلم في «صحيحه» (٢٦٩٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «...، **وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**،...».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «فَضْلُ الْعِلْمِ وَآدَابُ طَلَبَتِهِ وَطُرُقُ تَحْصِيلِهِ وَجَمْعِهِ».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ» - الْخَمِيسُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٧-٧-٢٠١٤م.

وَلَا يُنَالُ الْعِلْمُ إِلَّا بِإِلْقَاءِ السَّمْعِ مَعَ التَّوَاضُعِ؛ فَعَنِ الشَّعْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «صَلَّىٰ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَىٰ جِنَازَةٍ، ثُمَّ قُرِّبَتْ لَهُ بَغْلَةٌ لِيَرْكَبَهَا، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهُ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ»(١).

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُعَظِّمُونَ مَنْ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمْ تَعْظِيمًا شَدِيدًا.(*).

❀❀❀

(١) «**جامع بيان العلم**»: (١/ ٥١٤، رقم ٨٣٢)، وأخرجه ابن سعد في «**الطبقات**»: (٢/ ٣٦٠)، والفسوي في «**المعرفة والتاريخ**»: (٣/ ١٧٦)، والبغوي في «**معجم الصحابة**»: (٢/ ٤٧١، رقم ٨٥٣)، والدينوري في «**المجالسة**»: (٤/ ١٤٦-١٤٧، رقم ١٣١٤)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٥/ ١٠٧-١٠٨، رقم ٤٧٤٦)، والخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي**»: (١/ ١٨٨، رقم ٣٠٨)، بإسناد صحيح، عَنِ الشَّعْبِيِّ، ورواه -أيضًا- أبو سلمة ومجاهد وعمرو بن دينار عن ابن عباس بنحوه.

وزاد الدينوري في روايته: «...، فَقَالَ زَيْدٌ -أي: لابن عباس-: أَرِنِي يَدَكَ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ، فَقَبَّلَهَا زَيْدٌ، وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا ﷺ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «فَضْلُ الْعِلْمِ» (ص: ٢٩٩-٣٠٣).

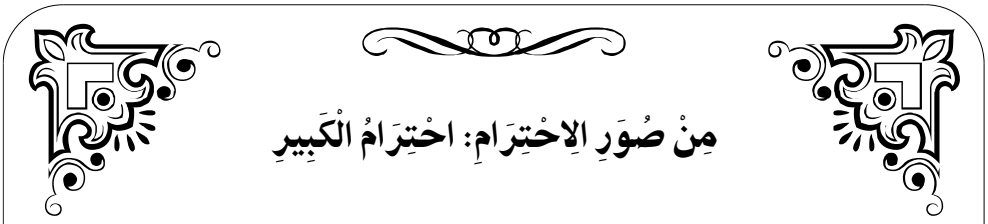

مِنْ صُوَرِ الِاحْتِرَامِ: احْتِرَامُ الْكَبِيرِ

لَقَدْ أَعْطَىٰ الْإِسْلَامُ الْكَبِيرَ حَقَّهُ مِنَ الشَّرَفِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّوْقِيرِ؛ لِمَا خُصَّ بِهِ مِنَ السَّبْقِ فِي الْوُجُودِ وَتَجْرِبَةِ الْأُمُورِ.

وَإِجْلَالُ الْكَبِيرِ هُوَ حَقُّ سِنِّهِ؛ لِكَوْنِهِ تَقَلَّبَ فِي الْعُبُودِيَّةِ للهِ فِي أَمَدٍ طَوِيلٍ، وَرَحْمَةُ الصَّغِيرِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ رفَعَ عَنْهُ التَّكْلِيفَ.(*).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، فَلَيْسَ مِنَّا**»(٢). وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: فَضْلُ الْكَبِيرِ)، (ص: ١٥٨٣).

(٢) «الأدب المفرد» للبخاري (رقم ٣٥٣)، وأَخْرَجَهُ أيضا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «كتاب العيال» (رقم ١٨٦)، وَالْخَرَائِطِيُّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» (٣٥١/ تحقيق أيمن البحيري)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤/ ١٧٨، رقم ٧٣٥٣)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (١٣/ رقم ١٠٤٧٣)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (رقم ٢٧١).
والحديث بنحوه في «سنن أبي داود» (رقم ٤٩٤٣)، وفي «جامع الترمذي» (رقم ١٩٢٠)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وفي «الجامع» أيضا (رقم ١٩١٩)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي (رقم ١٩٢١)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قَوْلُهُ ﷺ: «**فَلَيْسَ مِنَّا**»: أَيْ: لَيْسَ عَلَىٰ سُنَّتِنَا، أَوْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ مِنَّا.

فِي الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَىٰ مَشْرُوعِيَّةِ حُسْنِ الْأَخْلَاقِ وَوُجُوبِ الرَّحْمَةِ، مِنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ لِبَعْضٍ، وَمِنْ مُقْتَضَىٰ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالرَّحْمَةِ أَنْ يُوَقِّرَ الصَّغِيرُ الْكَبِيرَ، لِوُجُودِ حُسْنِ الْخُلُقِ لَدَيْهِ، وَأَنْ يَرْحَمَ الْكَبِيرُ الصَّغِيرَ؛ لِأَنَّ الْكَبِيرَ قَدْ عَقَلَ مَا لَا يَعْقِلُ الصَّغِيرُ، وَعَلِمَ مَا لَا يَعْلَمُ الصَّغِيرُ.(*).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُجِلَّ كَبِيرَنَا، فَلَيْسَ مِنَّا**»(٢). وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

«**يُجِلُّ**»: يُعَظِّمُ قَدْرَهُ.(*/٢).

فِي الْحَدِيثِ: وُجُوبُ التَّوْقِيرِ مِنَ الصَّغِيرِ لِلْكَبِيرِ؛ احْتِسَابًا وَطَلَبًا لِلْأَجْرِ كَذَلِكَ، وَرَحْمَةِ الْكَبِيرِ لِلصَّغِيرِ؛ احْتِسَابًا وَطَلَبًا لِلْأَجْرِ، وَاتِّبَاعًا لِلسُّنَّةِ، وَحِرْصًا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: فَضْلُ الْكَبِيرِ)، (ص: ١٥٧٨).

(٢) «الأَدَبُ المُفْرَد» للبُخَارِيِّ (رَقْم ٣٥٦)، وأَخْرَجَهُ أيضًا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «كتاب العِيال» (رَقْم ١٨٧/ تحقيق: نَجْم عبدِ الرَّحْمَنِ خَلَف)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٨/ رَقْم ٧٧٠٣ و٧٨٩٥ و٧٩٢٢)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٨/ ٣٦٣، ترجمة ٢٠٠٤)، من طرق: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، به.

وَالْحَدِيث حَسَّنَ إِسْنَاده الْأَلْبَانِيّ «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَة» (٥/ ٢٣١، رَقْم ٢١٩٦)، وقال في «صَحِيح الأدب المفرد» (رَقْم ٢٧٣): «حسن صَحِيح».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: فَضْلُ الْكَبِيرِ)، (ص: ١٥٩٠).

عَلَىٰ التَّحَلِّي بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا رَحْمَةُ الْكَبِيرِ لِلصَّغِيرِ، وَتَوْقِيرُ الصَّغِيرِ لِلْكَبِيرِ.(*).

وَمِنْ مَظَاهِرِ احْتِرَامِ الْكَبِيرِ: التَّوْسِعَةُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ؛ فَمِنْ إِجْلَالِ الْكَبِيرِ: التَّوْسِعَةُ لِلْقَادِمِ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَجْلِسِ إِذَا أَمْكَنَ التَّوْسِيعُ لَهُ، سِيَّمَا إِذَا كَانَ مِمَّنْ أُمِرَ بِإِكْرَامِهِ مِنَ الشُّيُوخِ سَوَاءٌ كَانَ ذَا شَيْبَةٍ، أَوْ ذَا عِلْمٍ، أَوْ لِكَوْنِهِ كَبِيرَ قَوْمٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ -وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ كَمَا فِي «السِّلْسلَةِ الصَّحِيحَةِ»-: «**إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ فَأَكْرِمُوهُ**»(٢).(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: فَضْلُ الْكَبِيرِ)، (ص: ١٥٩٠).

(٢) أَخْرَجَهُ ابنُ أبي الدُّنْيَا في «مَكارِمِ الأَخْلَاقِ» (رَقْم ٧١)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ في «العِلَلِ» (٦/ ٢٨٦ - ٢٨٧، مسألة ٢٥٣٢)، والطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٥/ رَقْم ٥٢٦١) و(٦/ رَقْم ٦٢٩٠)، وَفِي «الْكَبِيرِ» (٢/ رَقْم ٢٢٦٦، و٢٣٥٨)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٣/ ٣٠٠ - ٣٠١، ترجمة ٥١٨)، والدارقطني في «العلل» (١٣/ ٤٤٥، مسألة ٣٣٣٧)، وغيرهم، من طرق: عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، بلفظ: «**إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ**».

وهذا اللفظ روي من حَدِيث: ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ**»، أَخْرَجَهُ ابن مَاجَهْ في «سُنَنِهِ» (رَقْم ٣٧١٢)، وَرُوِيَ أيضا عن جَابِرٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُعَاذٍ، وَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، وَأَبِي رَاشِدٍ، وَأَنَسٍ رضي الله عنهم، وعن الشعبي مرسلا.

والحَدِيثُ حَسَّنهُ بشواهده الْأَلْبَانِيّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَة» (٣/ رَقْم ١٢٠٥).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: فَضْلُ الْكَبِيرِ)، (ص: ١٥٨٣-١٥٨٤).

وَمِنْ مَظَاهِرِ احْتِرَامِ الْكِبَارِ: إِكْرَامُهُمْ، وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ، وَالرِّفْقُ بِهِمْ؛ فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: «**إِنَّ مِنَ إِجْلَالِ اللهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»(١). وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ -أَيْضًا- أَبُو دَاوُدَ مَرْفُوعًا.

«**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ**» **أَيْ**: مِنْ تَبْجِيلِهِ وَتَعْظِيمِهِ جَلَّوَعَلَا «**إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**»: تَعْظِيمَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ فِي الْإِسْلَامِ بِتَوْقِيرِهِ فِي الْمَجَالِسِ، وَالرِّفْقِ بِهِ، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِ تَعْظِيمِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ لِحُرْمَةِ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ عِنْدَ اللهِ.

فَالَّذِي يَتَدَبَّرُ مُتَأَمِّلًا يَرَىٰ أَهَمِّيَّةَ هَذِهِ الْمَعْطُوفَاتِ فِي الْأَحَادِيثِ، وَيَعْلَمُ سُمُوَّ مَنْزِلَتِهَا؛ فَإِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ -تَعَالَىٰ- ومِنْ تَعْظِيمِهِ: أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ حَقَّ هَؤُلَاءِ عَلَيْهِ.(*).

---

(١) «الأدب المفرد» للبخاري (رَقْم ٣٥٧)، وأَخْرَجَهُ أيضا موقوفا ابن المبارك في «الزهد» (٣/ رَقْم ٣٨٨)، والقاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص ٩٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ رَقْم ٢١٩٢٢) و(٦/ رَقْم ٣٢٥٦١/ نشر مكتبة الرشد)، وابن زنجويه في «الأموال» (رَقْم ٥٢).

وأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ في «سُنَنِهِ» (رَقْم ٤٨٤٣)، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مرفوعا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**،...» الحَدِيث.

وَحَسَّنَ إسناد الحَدِيث الموقوف الْأَلْبَانِيّ في «صَحِيح الأدب المفرد» (رَقْم ٢٧٤)، والحَدِيث المرفوع فِي هامش «الْمِشْكَاةِ» (٣/ رَقْم ٤٩٧٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: إِجْلَالُ الْكَبِيرِ)، (ص: ١٥٩٢ - ١٥٩٥).

فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: تَأْكِيدٌ نَبَوِيٌّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ تَوْقِيرِ الْكِبَارِ، وَإِجْلَالِهِمْ، وَالِاعْتِرَافِ بِحُقُوقِهِمْ، وَالْمُعَامَلَةِ مَعَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الْمِنْوَالِ.

وَفِيهَا: بَيَانُ فَضِيلَةِ وَأَسَاسِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، مَعَ بَيَانِ الْخَيْرِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَيْهِ هَذَا الْمُجْتَمَعُ الْفَاضِلُ؛ لِأَنَّ خَلَلًا عَظِيمًا جِدًّا يَحْدُثُ فِي مُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَمَا لَا يُعْرَفُ لِلْكَبِيرِ حَقُّهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ شَدَّدَ فِي ذَلِكَ كَمَا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ.(*).

مِنْ مَظَاهِرِ احْتِرَامِ الْكِبَارِ: تَقْدِيمُهُمْ عِنْدَ الْكَلَامِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ كُبَرَاءِ قَوْمِهِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةَ خَرَجَا إِلَىٰ خَيْبَرَ مِنْ جُهْدٍ أَصَابَهُمْ، فَأَتَىٰ مُحَيِّصَةُ فَأَخْبَرَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ قَدْ قُتِلَ وَطُرِحَ فِي عَيْنٍ أَوْ فَقِيرٍ، فَأَتَىٰ يَهُودَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ وَاللهِ قَتَلْتُمُوهُ.

قَالُوا: وَاللهِ مَا قَتَلْنَاهُ.

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فَذَكَرَ لَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ هُوَ وَأَخُوهُ حُوَيِّصَةُ -وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ- وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ، فَذَهَبَ مُحَيِّصَةُ لِيَتَكَلَّمَ، وَهُوَ الَّذِيٰ كَانَ بِخَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُحَيِّصَةَ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**». يُرِيدُ السِّنَّ، فَتَكَلَّمَ حُوَيِّصَةُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ مُحَيِّصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِمَّا أَنْ يَدُوا صَاحِبَكُمْ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذَنُوا بِحَرْبٍ**»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: فَضْلُ الْكَبِيرِ)، (ص: ١٥٨٧-١٥٨٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٧١٩٢)، ومُسْلِم فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ١٦٦٩)، من حَدِيث: سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ رضي الله عنه.

فِي الْحَدِيثِ: الْبَدْءُ بِالْكَلَامِ لِلْأَكْبَرِ؛ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْإِكْرَامِ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ الصَّغِيرُ أَعْلَمَ وَأَقْدَرَ مِنَ الْكَبِيرِ عَلَىٰ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ.(*).

وَمِنْ مَعَالِمِ احْتِرَامِ الْكِبَارِ: الْحَيَاءُ وَالتَّأَدُّبُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ؛ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، لَا تَحُتُّ وَرَقَهَا**».

فَوَقَعَ فِي نَفْسِي النَّخْلَةُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**».

فَلَمَّا خَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ: «يَا أَبَتِ! وَقَعَ فِي نَفْسِي النَّخْلَةُ».

قَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا؟ لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا».

قَالَ: «مَا مَنَعَنِي إِلَّا لَمْ أَرَكَ وَلَا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا، فَكَرِهْتُ». الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢)، وَفِيهِ أَلْفَاظٌ سِوَىٰ مَا ذَكَرَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»(٣).

«**تُؤْتِي أُكُلَهَا**» أَيْ: تُعْطِي ثَمَرَهَا.

«**لَا تَحُتُّ وَرَقَهَا**» أَيْ: لَا تُسْقِطُهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: يَبْدَأُ الْكَبِيرُ بِالْكَلَامِ وَالسُّؤَالِ)، (ص: ١٦٠٤ - ١٦٠٧).

(٢) «صَحِيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم ٦١٤٤) ومواضع، و«صَحِيح مُسْلِم» (رَقْم ٢٨١١).

(٣) «الأدب المفرد» (رَقْم ٣٦٠).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ»: «أَسْنَانُ»: جَمْعُ سِنٍّ، بِمَعْنَىٰ: عُمُرٍ؛ يَعْنِي: كِبَارُ الْقَوْمِ وَشُيُوخُهُمْ حَاضِرُونَ؛ أَفَأَتَكَلَّمُ أَنَا؟!

فَمَا أَعْظَمَ أَدَبَهُ!

وَمَا أَقَلَّ أَدَبَ مَنْ بَعْدَهُمْ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ!

فِي الْحَدِيثِ: تَوْقِيرُ الْكِبَارِ؛ لَكِنْ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْكِبَارُ الْمَسْأَلَةَ فَيَنْبَغِي لِلصَّغِيرِ أَنْ يَقُولَهَا.(*).

إِنَّ بِرَحْمَةِ الْكَبِيرِ لِلصَّغِيرِ، وَتَوْقِيرِ الصَّغِيرِ لِلْكَبِيرِ يَحْصُلُ التَّآلُفُ بَيْنَ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَالتَّآخِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي اللهِ وَمِنْ أَجْلِ اللهِ، لَا مِنْ أَجْلِ الْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ، وَلَا لِلْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ رَجَاءُ ثَوَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.(*/٢).

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَجَنِّبْنَا مَسَاوِئَهَا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٣).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: إِذَا لَمْ يَتَكَلَّمِ الْكَبِيرُ هَلْ لِلْأَصْغَرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ؟)، (ص: ١٦٠٩ - ١٦١٤).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابٌ: فَضْلُ الْكَبِيرِ)، (ص: ١٥٩١).

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الرِّيَاضِ النَّاضِرَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ)، الثُّلَاثَاءُ ٢٠ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٤هـ| ٢٧-٨-٢٠١٣م.

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

قِيمَةُ الِاحْتِرَامِ فِي الْإِسْلَامِ ٤

مِنْ صُوَرِ الِاحْتِرَامِ: احْتِرَامُ الْوَالِدَيْنِ ٢٨

مِنْ صُوَرِ الِاحْتِرَامِ: احْتِرَامُ الْعُلَمَاءِ ٤٢

مِنْ صُوَرِ الِاحْتِرَامِ: احْتِرَامُ الْكَبِيرِ ٤٥